فجعله الرشيد ثالثاً لهما . ثم وشى به بعد ذلك الناس وتتابعت الأخبار عنه بفساد نيته للرشيد فدخل عليه في بعض الأيام وقد امتلأ قلب الرشيد فقال : أكفراً بالنعمة وغدراً بالإمام ؟ ! .

فقال عبد الملك : قد بؤت إذا بأعباء الندم واستحلال النقم وما ذاك يا أمير المؤمنين إلا بفي حاسد نافس فيك وفي تقديم الولاية مودة القرابة يا أمير المؤمنين ! .

إنك خليفة رسول ا A في أمته وأمينه على عترته لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة ولها عليك العدل في حكمها والتثبت في حادثها . فقال له الرشيد : هذا قمامة كاتبك يخبرني بفساد نيتك وسوء سيرتك ! .

قال : فأسمع كلام قمامة فلعله أعطاك ما ليس في عقده ولعله لا يقدر أن يعضهني ولا يبهتني بما لم يعرفه مني ولم يصح له عني ؟ فأمر بإحضاره فقال له الرشيد : تكلم غير خائف ولا هائب ! .

فقال : أقول إنه عازم على الغدر بك يا أمير المؤمنين والخلاف عليك ! .

فقال عبد الملك : وكيف لا يكذب علي بن خلفي من يبهتني في وجهي ؟ ! .

فقال الرشيد : فهذا عبد الرحمن ابنك يقول بقول كاتبك ويخبر عن سوء ضميرك وفساد نيتك وأنت لو أردت أن تحتج بحجة لم نجد أعدل من هذين فبم تدفعهما عنك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! .

عبد الرحمن بين مأمور أو عاق ؛ فإن كان مأموراً فمعذور وإن كان عاقاً فهو عدو أخبر ا بعداوته وحذر منها ؛ فقال جل ثناؤه في محكم كتابه : " إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم " فنهض الرشيد وقال : أما أمرك فقد وضح ولكن لا أعجل حتى أعلم ما الذي يرضي ا فيك فإنه الحكم بيني وبينك ! .

فقال عبد الملك : رضيت با حكماً وبأمير المؤمنين حاكماً ! .

فإني أعلم أنه يؤثر كتاب ا على هواه وأمر ا على رضاه . ثم إنه دخل عليه في مجلس آخر وسلم فلم يرد عليه الرشيد فلم يزل يعتذر ويحتج لنفسه بالبراءة حتى أقبل عليه بوجهه وقال : ما أظن الأمر إلا كما قلت يا أبا عبد الرحمن وأنت محسد وأمير المؤمنين يعلم أنك على سريرة صالحة غير مدخولة ولا خسيسة . ثم دعا عبد الملك بشربة ماء فقال الرشيد : ما شرابك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : سحيق الطبرزد ذر بماء الرمان ! .

فقال : بخ بخ عضوان لطيفان يذهبان الظما ويلذان المذاق فقال عبد الملك : صفتك لهما يا

أمير المؤمنين ألذ من فعلهما ! .

ثم إن الرشيد تنكر له بعد ذلك وحبسه عن الفضل بن الربيع وقال : أما وا لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عتقك ! .

ولم يزل محبوساً حتى توفي الرشيد فأطلقه الأمين وعقد له على الشام وكان مقيماً بالرقة وجعل للأمين عهد ا وميثاقه لئن قتل وهو حي لا يعطي المأمون طاعته أبداً ؛ فمات قبل قتل الأمين ودفن في دار من دور الإمارة . فمل خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن له : حول أباك عن داري فنبشت عظامه وحولت .

وكتب إلى الرشيد قبل إشخاصه إلى العراق وقد تغير عليه : .

أخلاي لي شجو وليس لكم شجو ... وكل امرئ من شجو صاحبه خلو .

من أبي نواحي الأرض أبغي رضاكم ... وأنتم أناس ما لمرضاتكم نحو .

فلا حسن نأتي به تقبلونه ... ولا إن أسأنا كان عندكم عفو .

فلما وقف عليها قال : وا إن كان قالها لقد أحسن وإن كان رواها لقد أحسن . وكتب إليه من السجن : .

قل لأمير المؤمنين الذي ... يشكره الصادر والوارد .

يا واحد الأملاك في فضله ... ما لك مثلي في الوري واحد .

إن كان لي ذنب ولا ذنب لي ... حقاً كما زعم الحاسد .

فلا يضق عفوك عني فقد ... فاز به المسلم والجاحد .

ومن شعره وهو في الحبس : .

لئن ساءني حبسي لفقد أحبتي ... وأني فيهم لا أمر ولا أحلي .

لقد سرني عزي بترك لقائهم ... وما أتشكى من حجاب ومن ذل .

ولما أخرجه الأمين من السجن دفع إليه كاتبه قمامة وابنه عبد الرحمن فقتل قمامة في حمام وهشم وجه ابنه بعمود .

المسمعي الصنعاني .

عبد الملك بن الصباح المسمعي الصنعاني . قال أبو حاتم : صالح الحديث .

توفي سنة تسع وتسعين ومايا .

وروى له البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة .

أبو مروان الأندلسي .

عبد الملك بن طريف الأندلسي . أبو مروان . النحوي . اللغوي .

مات في حدود الأربع مايا